التَّارِيخُ: 20.10.2023

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

اَلظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

سُورَةُ الِانْشِرَاحِ بُشْرَى لِلرَّحْمَةِ وَالسَّكِينَةِ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَفَاضِلُ!

كَانَتِ السَّنَوَاتُ الْأُولَى مِنْ نُبُوَّةِ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَزْدَادَتِ الضُّغُوطَاتُ وَالظُّلْمُ مِنْ قِبَلِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي مَكَّةَ، وَأَصْبَحَتِ الْحَيَاةُ لَا تُطَاقُ وَصَعْبَةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ. وَفِي هَذَا الْوَقْتِ الْعَصِيبِ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى سُورَةَ (الشَّرْحِ) اَلِانْشِرَاحِ اَلَّتِي تَحْتَوِي عَلَى الْكَثِيرِ مِنَ الْبَشَائِرِ وَالْحِكْمَةِ لَنَا. وَلَقَدْ شَعَرَ نَبِيُّنَا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِالْبَهْجَةِ وَالرَّاحَةِ عِنْدَمَا نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ وَالْبُشْرَى بِأَنَّ رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ سَيَمْنَحُ الطُّمَأْنِينَةَ وَالْيُسْرَ بَعْدَ كُلِّ عُسْرٍ.[1]

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعِزَّاءُ!

وَالْيَوْمُ أَوَدُّ أَنْ أُخَاطِبَ جَمِيعَ إِخْوَانِنَا وَأَخَوَاتِنَا الَّذِينَ يَتَعَرَّضُونَ لِلظُّلْمِ وَالْقَهْرِ فِي الْعَالَمِ، وَخَاصَّةً فِي فِلِسْطِينَ، بِرَسَائِلِ تُرِيحُ الْقُلُوبَ وَتَزْرَعُ الْأَمَلَ فِي نُفُوسِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ سُورَةِ الِانْشِرَاحِ: **" اَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ. وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ. اَلَّذِي اَنْقَضَ ظَهْرَكَ. وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ."**[2]

نَعَمْ يَا إِخْوَتِي!

نَحْنُ نُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ. فَهُوَ الَّذِي يُحِيطُنَا بِرَحْمَتِهِ وَعَطْفِهِ. فَهُوَ الَّذِي سَيُفَرِّجُ الضِّيقَ الَّذِي فِي صُدُورِنَا وَيَطْمَئِنُّ قُلُوبَنَا. سَيَرْفَعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اَلْهَمَّ الثَّقِيلَ عَنَّا وَيُخَلِّصُنَا مِنْ كُلِّ الصُّعُوبَاتِ وَالْمَتَاعِبِ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكِرَامُ!

وَمِنَ الْحَقَائِقِ الَّتِي تُذَكِّرُنَا بِهَا سُورَةُ الِانْشِرَاحِ: **"فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا. إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا"**.[3]

نَعَمْ، نُؤْمِنُ أَنَّ بَعْدَ كُلِّ حُزْنٍ سَيَكُونُ هُنَاكَ فَرَحٌ، وَبَعْدَ كُلِّ ضِيقٍ سَيَكُونُ هُنَاكَ فَرَجٌ. لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَتْرُكِ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَحْدَهُمْ قَطُّ. وَلَمْ يَتْرُكْهُمْ أَبَدًا تَحْتَ رَحْمَةِ الظَّالِمِينَ وَالْأَعْدَاءِ. لَقَدْ أَنْقَذَ سَيِّدَنَا نُوحًا مِنْ هَلَاكِ الطُّوفَانِ، وَسَيِّدَنَا إِبْرَاهِيمَ مِنْ نَارِ النَّمْرُودِ، وَسَيِّدَنَا مُوسَى مِنْ ظُلْمِ فِرْعَوْنَ، وَسَيِّدَنَا يُوسُفَ مِنْ ظُلْمَةِ الزِّنْزَانَةِ. وَأَخِيرًا أَنْقَذَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنْ كَافَّةِ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ الَّذِي أَلْحَقَهُ الْكُفَّارُ بِالنَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَفَتَحَ لَهُ أَبْوَابًا كَثِيرَةً مِنَ الْفَتْحِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَفَاضِلُ!

وَتُعَلِّمُنَا سُورَةُ الِانْشِرَاحِ أَيْضًا هَذِهِ الْحَقِيقَةَ: **"فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ. وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ."**[4] وَكَمَا جَاءَ فِي الْآيَاتِ فَإِنَّ الْكَسَلَ وَالْإِهْمَالَ لَا يُنَاسِبُنَا وَلَا يُمْكِنُ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ مَسْؤُولٍ، أَوْ مُهْمِلٍ، أَوْ رَاضِيًا عَنْ نَفْسِهِ. وَيَسْعَى جَاهِدًا لِيَعِيشَ وَيَنْشُرَ الْحَقَّ وَالْحَقِيقَةَ وَالْعَدْلَ وَالرَّحْمَةَ حَتَّى يَعُمَّ الْخَيْرُ فِي الْأَرْضِ. فَالْمُؤْمِنُ يَفْعَلُ كُلَّ مَا يَفْعَلُهُ وِفْقًا لِرِضَا اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَبِالْقُوَّةِ الَّتِي يَسْتَمِدُّهَا مِنْ إِيمَانِهِ لَا يَفْقِدُ الْأَمَلَ فِي مُوَاجَهَةِ الصُّعُوبَاتِ. فَإِنَّهُمْ يَعْمَلُونَ بِكُلِّ قُوَّتِهِمْ لِلْحِفَاظِ عَلَى اسْتِقْلَالِهِمْ وَمُسْتَقْبَلِهِمْ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعِزَّاءُ!

إِنَّ وَاحِدَةً مِنْ أَكْبَرِ الْفَظَائِعِ الَّتِي شَهِدَهَا تَارِيخُ الْبَشَرِيَّةِ تُرْتَكَبُ الْيَوْمَ فِي فِلَسْطِينَ، فِي غَزَّةَ. فَالْأَبْرِيَاءُ، بِمَنْ فِيهِمُ الرُّضَّعُ وَالْأَطْفَالُ وَالنِّسَاءُ وَالشُّيُوخُ، يُذْبَحُونَ بِوَحْشِيَّةٍ. وَتَتَعَرَّضُ الْمَنَازِلُ وَالْمَسَاجِدُ وَالْمَدَارِسُ وَحَتَّى الْمُسْتَشْفَيَاتِ لِلْقَصْفِ بِلَا رَحْمَةٍ. فَتُرْتَكَبُ جَرِيمَةٌ كَبِيرَةٌ ضِدَّ الْإِنْسَانِيَّةِ أَمَامَ أَعْيُنِ الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ. وَبَيْنَمَا يَمُوتُ الْآلَافُ مِنَ الْأَبْرِيَاءِ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ، فَإِنَّ الْعَالَمَ الَّذِي فَقَدَ رَحْمَتَهُ وَضَمِيرَهُ، يُرَاقِبُ فَقَطْ هَذِهِ الْإِبَادَةَ الْجَمَاعِيَّةَ . لَا يُؤْخَذُ فِي الِاعْتِبَارِ عِرْقَ وَلُغَةَ وَدِينَ الْمُضْطَهَدِينَ. وَنَدْعُو الْبَشَرِيَّةَ جَمْعَاءَ لِلْوُقُوفِ مَعَ الْمَظْلُومِ ضِدَّ الظَّالِمِ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكِرَامُ!

وَيَقُولُ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَحَدِ أَحَادِيثِهِ: **"اَلظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"**[5]. إِنَّ الْمَتَاعِبَ الَّتِي يَعِيشُهَا الْمُسْلِمُونَ الْيَوْمَ سَتَنْتَهِي بِالتَّأْكِيدِ، وَسَيَكُونُ لِلظَّالِمِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ سَيَنْتَصِرُونَ بِعَوْنِ اللهِ. إِنَّ الْأَوْقَاتَ الصَّعْبَةَ الَّتِي نَمُرُّ بِهَا هِيَ نَذِيرُ قِيَامَةٍ جَدِيدَةٍ. طَالَمَا أَنَّنَا كَمُسْلِمِينَ نَعْمَلُ فِي وَحْدَةٍ وَتَضَامُنٍ. لِنَجْعَلَ الْأُخُوَّةَ وَالْمَحَبَّةَ بَيْنَنَا دَائِمَةً. دَعُونَا نَكُونُ رُحَمَاءَ مَعَ بَعْضِنَا الْبَعْضِ، وَلْنَكُنْ حَكِيمِينَ وَأَقْوِيَاءَ ضِدَّ الْعَدُوِّ. دَعُونَا لَا نَيْأَسُ مِنْ رَحْمَةِ اَللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَلْنُؤَدِّي مَسْؤُولِيَّاتِنَا تِجَاهَ رَبِّنَا وَإِخْوَتِنَا وَأَخَوَاتِنَا وَالْبَشَرِيَّةِ. لِنُؤَدِّيَهَا حَتَّى يُخَفِّفَ عَنَّا رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مِنْ مَتَاعِبِنَا وَمَصَاعِبِنَا وَيُحَوِّلَ مَشَقَّاتِنَا إِلَى رَحْمَةٍ، وَلِيَجْعَلَنَا قَادَةً وَقُدْوَةً لِلْبَشَرِيَّةِ مَرَّةً أُخْرَى.

أَخْتِمُ خُطْبَتِي بِالْآيَةِ التَّالِيَةِ: **" يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ اَقْدَامَكُمْ "**[6].

---

[1] اَلْمُوَطَّأُ ، اَلْجِهَادُ ، 6 , اَلسُّيُوطِي ، كِتَابُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ .

[2] سُورَةُ الِانْشِرَاحِ ، 94 / 1 - 4.

[3] سُورَةُ الِانْشِرَاحِ ، 94 /5- 6.

[4] سُورَةُ الِانْشِرَاحِ ، 94 / 7 - 8.

[5] اَلْبُخَارِي ، كِتَابُ الْمَظَالِمِ ، 8.

[6] سُورَةُ مُحَمَّدٍ ، 47 / 7.